المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة
مضارع تخلق للتكليف والاصل تتخلقون بتاءين فحذفت احديهما يقال تخلق وتكذب اذا افتعل
الكذب بالتكلف وقرئ افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو اما مصدر كالكذب لفظا ومعنى اي
تكذبون كذبا او صفة لمصدر محذوف اي خلقا وعملا ذا افك قوله وتنكيره للتعميم فان
النكرة في سياق النفي تفيد العموم اي لا يملكون شيئا من الرزق ثم عرف باللام الاستغراقية
ليفيد ان الرزق كله لله تعالى قوله وان تكذبوا يعني اشار الى ان المخاطب بقوله تكذبوا هو قوم
ابراهيم عليه السلام وان هذه الاية الى قوله فما كان جواب قومه من جملة ما قاله ابراهيم لقومه
ثم جوز ان يكون خطابا لقوم محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وان تكذبوا ايها القريش
فقد كذبها اقوام هلكوا بسبب التكذيب فلعلكم تخافون ان يقع بكم ما وقع بمن قبلكم من المكذبين — كذب اقوام
فيكون هذه الجملة معترضة في اثناء قصة ابراهيم والجملة الاعتراضية لا بد لها من ان
يتصل بطرفيها نوع اتصال ووجه الاتصال ههنا سوابق من حيث ان مساق قصة ابرهيم لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم عليه وعلى الهما اجمعين كأنه قيل لكم يا معشر
قريش ان كذبتم محمدا عليه السلام فقد كذب ابراهيم قومه وكذا سائر الانبياء كذبهم اممهم ولم
ولم يضر تكذيب احد منهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا لازاحة حجج قومهم ولا يجب عليهم ان
يصدقهم اممهم لانهم لا يكلفون بفعل غيرهم قوله كان ممنوا اي مبتلى بعاد ممنونة ومنيت اذا
ابتليته فان قيل كيف يكون هذه الاية من جملة ما قاله ابراهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب
امم من قبلكم يأبى ان يكون من قصته عليه السلام لان قوم ابراهيم لم يسبقهم الا قوم نوح
وهم امة واحدة قلنا ان نوحا عليه السلام بعث الى جميع بني ادم ولا شك انهم طوائف شتى
وايضا كان قبل نوح اقواما اخر كقوم ادريس عليه السلام وقوم شيث وقوم آدم عليهما السلام
ولا يبعد ان يكون اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه السلام في قومه الى سنه الى ان
رفع الى السماء وامن به الف انسان بعدد سنيه وعامة اعمالهم على التكذيب قوله
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على الخطاب لقوم ابراهيم العوده اي قال ابراهيم لقومه
اولم تروا ولم يعرض لاحد ان يكون خطابا من الله تعالى لاهل مكة ولا يكون محكيا
بعد القول وقرأ الباقون بالياء الغيبة ردا على الامم المكذبة وقرأ الجمهور يبدي بضم
الياء من ابدا وقرئ يبدأ مضارع بدأ قوله معطوف على اولم يروا فان قلت
اوليس هذا من عطف الخبر على الانشاء لان الاستفهام فيه لما كان للانكار وقرر
الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اي قد رأوا ذلك وعلموه قوله فان الرؤية غير واقعة

٦٥٦

واقعة عليه فان قلت الابداء كذلك لانه كان قبل وجود الامم قلنا اللام في الخلق للجنس
الجنس وابداء بعض الخلق مرئي وذلك يكفي في صحة رؤية ابداء الجنس لان الاعادة يكون في الآخرة
والرؤية انما يكون في الدنيا فان قلت علق الرؤية بالكيفية لا بنفس الخلق حيث قال اولم يروا
كيف يبدئ ولم يقل اولم يروا كيف خلق او ابداء الخلق والكيفية معلومة والجواب هذا القدر
من الكيفية معلوم وانه خلقه ولم يك شيئا مذكورا وانه خلقه من نطفة هي متكونة
من غذاء فيكون من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم لامكان الاعادة استدلالا
بالابداء وقد تقررت ان امهات علوم القرآن ثلثة التوحيد والرسالة والحشر والمبادئ لا الاصل
الاول واشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين
شرع في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية في كلامه المجيد
على ان لا ينفصل بعض هذه الاصول وفي اي موضع جرى ذكر اثنين منها ذكر
الثالث معهما فلذلك ذكر الاعادة استدلالا عليها بالابداء فقال اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق الاية قوله حكاية كلام الله تعالى وليس من مقالة ابراهيم لقومه من عند نفسه
على تقدير ان يكون الايات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه
من قصة ابراهيم عليه السلام ولا من مقالة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من عند نفسه
على تقدير كونها معترضة واقعة في اثناء قصة ابراهيم عليه السلام تذكيرا وانذارا
للقريش اذ لا وجه لهما ان يقولا من عند انفسهما قل سيروا بل الظاهر انه كلام احدهما
لقومه على حكاية كلام الله تعالى ومقصود المص ان يجيب عما يقال كيف يكون هذا من
كلام احدهما ولا يصح لواحد منهما ان يقول ذلك وحاصل الجواب انه لا يصح ان
يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاه ابراهيم ومحمد
عليهما الصلاة والسلام لقومه اي قال الله تعالى لي قل لهم وقد يحكي رسولنا كلام الله تعالى
على هذا المنهاج قل للمنكري البعث سيروا في الارض فانظروا كيف انشاء الله تعالى
جميع الكائنات ابتداء ومن قدر على انشائها ابتداء لا يعجز عن اعادتها لما قال ابراهيم
لقومه واليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبوني فيما اخبرتكم به من البعث والجزاء
فلا عجب في تكذيبكم ثم التفت عن خطابهم وقال على طريق التعجب من جهالة منكري
البعث اولم يروا منكرو البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشاء الكائنات ابتداء
على وجه الابداء ثم اخبر بانه يعيدهم لا محالة ثم امر الله تعالى بان يحتج على هؤلاء
المنكرين لما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا هذا على تقدير ان يكون الايات المذكورة

Copyright © King Saud University